الباب الخامس

في قواعد التدريس الأساسية

اختلفت الآراء وكثرت الأقوال في أحسن الطرق لتدريس أي موضوع معين. والحق أن هناك طرقًا كثيرة تتعدد بتعدد المدرسين ومواد الدراسة وسن المتعلمين. ومن الخطأ أن يتبع كل المعلمين طريقة واحدة في تدريسهم وذلك لأن إختلاف الأحوال يستدعي إختلاف الطرق، ولأن إلتزام أسلوب واحد وأتباعه أتباعًا آليًا مما يؤدي إلى السآمة والملل. هذا إلى أن إستعمال المدرس مهارته وقوة ابتكاره وابتداعه وتفكيره في أحسن الطرق التي بها يوصل معلوماته إلى أذهان تلاميذه، وإفتنانه فيها مما يجعل درسه حيًا شائقًا، ويدعو إلى حصر قوة إنتباههم في موضوع الدرس؛ فليس التفاضل بين الطرق المتعددة لتدريس الموضوعات المختلفة راجعًا إلى الطرق نفسها بل العمدة في الحقيقة على المدرس نفسه؛ فمن يجيد إتباع طريقة معينة قد يفشل كل الفشل إذا أتبع طريقة أخرى يجيد غيره استعمالها. ولذا يجب أن يوكل الأمر للمدرس في إختيار الطريق التي بها يسهل عليه تفهم درسه للمتعلمين غير أنه يجب عليه مراعاة ما يأتي:

(١) قول بستالوزي «إن أول أعمال التربية المقدسة وأهمها أن يأخذ المعلم بيد تلميذه من الحقائق الجزئية إلى المعاني العامة الكلية» والحقائق الجزئية تدرك بالمشاعر. أما المعاني العامة فلا تنال إلا بعد إعمال

العقل في ترتيب المعلومات ترتيبًا خاصًا يوصل إلى إدراك أمر مجهول. ومعاوم أن الغاية من التعليم لا تقف عند كسب المعلومات بطريق إستنباط الحكم الكلي من الأمثلة الجزئية. فلا بد أن يكون في النشء عادة التطبيق على ما عرفوه من الأحكام المستنبطة.

(٢) القواعد الأساسية التي إستنبطها علماء التربية من قول بستالوتزي السالف الذكر. وأجمع المحنكون من أعاظم المدرسين على أنه يجب على المدرس إستعمالها إذا رام فلاحًا.. وهذه القواعد هي:

(١) التدرج من غير المحدود إلى المحدود.

هذه القاعدة خاصة بنمو المعاني في الفكر، فالمعاني في ذاتها محدودة ولكن فكر المرء عنها قد يكون محدودًا كما في المعلم. وقد يكون غير محدود كما في الطفل لأن عقله أثناء حياته المدرسية غير تام النمو، وعلمه بالأشياء ناقص خفي وغير محدود، أن أدراكه خواصها ومميزاتها لا يأتي إلا تدريجًا فيجب على المعلم أن يبدأ دروسه بالمعاني الجزئية التي هي غير محدودة في ذهن الطفل حتى قصير بعد الفحص والملاحظة واضحة محدودة، متخذًا في تدريسه طريقة حل كل معنى مركب إلى عناصره الأولى، فيعرض على الطفل أمثلة خاصة جزئية ليفحصها فحصًا دقيقًا به تظهر أجزاؤها التي تتركب منها. ففي درس على التفاحة مثلًا يعرض المدرس على التلميذ تفاحة، ويدعوه إلى ملاحظة حجمها وشكلها ولونها ومادتها الداخلية وقشورها وبذورها وطعمها، ثم يوازن بينها وبين غيرها من الفواكه ويمحص وجوه المشابهة والمخالفة بينهما، وبذلك يتم له إدراك التفاحة

ويصبح علمه بها محدودًا. فالطفل يدرك في أول الأمر الشيء مبهمًا، ثم يظهر له أنه مركب من أجزاء، ثم يدرك أن هذه الأجزاء هي المكونة له، وبذلك يتم إدراكه له على وجه التحديد.

واعتماد المدرس في العمل بهذه القاعدة على قوة الملاحظة، ولذلك يجب تربيتها، وتكوين عادة الإنتباه عند الطفل بأن محرك المدرس شوقه للمدرس، ويستميله إلى إعمال قواه العقلية بإشراكه معه في الفحص وكشف حقائق الدرس وغير ذلك من الوسائل التي تضطره إلى حصر قوة إنتباهه في موضوع الدرس، وتدفعه إلى بذل ما يتطلبه الدرس من المجهود العقلي.

(٢) التدرج من الجزئي إلى الكلي الصادق على أفراد كثيرة.

إن الطفل لا يستطيع أن يميز الصفات المشتركة بين أفراد أي نوع ، وهذه وإن كانت موجودة في كل فرد من أفراده لا تظهر له إلا بعد الفحص والملاحظة والتفريق بينها وبين الصفات غير المشتركة بالموازنة بين الأفراد، ومتى تم للعقل إدراك الصفات المشتركة أنتزعها وكون منها الكلي الذي يصدق على كل أفراد النوع. ومن ثم كان الواجب عند دراسة أي أمر كلي أن يستعان بدراسة الأمثلة الجزئية؛ فلتفهيم الأطفال معنى كتاب يجب أن يعرض عليهم عدة كتب واحدًا بعد الآخر، ويوجه نظرهم إلى أنها كلها تشترك في أنها عبارة عن أوراق مكتوبة جمع بعضها إلى بعض وإن كانت متخالفة في الحجم ونوع التجليد ولون الورق أو الحبر ونوع الخط وحجمه وغير ذلك. وبذلك يكون معنى كتاب هو مجموع الصفات

المشتركة فقط. وفي درس على التفاحة مثلًا يدعو المدرس تلاميذه إلى الموازنة بين عدة تفاحات حتى يتبين لهم جليًا أنها كلها تشترك في أن كلًا منها فاكهة ذات شكل معين، وطعم مميز، وملمس خاص، ولكنها ليست متحدة في الحجم واللون ونحو ذلك. ثم يوجه نظرهم إلى أن الصفات المشتركة عامة في كل جزئي، وعلى ذلك يستنبط أن معي تفاحة هو مجموع هذه الصفات المشتركة التي يترك منها تعريف التفاحة أيضًا.

(٣) التدرج من المحسوس إلى المعقول.

هذه القاعدة فرع سابقتها لأن إدراك الكلي لا يكون إلا بعد إدراك عدد عظيم من الجزئيات وهي أمور محة. أما الكليات فأمور معقولة. فينبغي في تدريس الحساب أن تستعمل الأشياء المحسة للإستعانة بها على إدراك المعنويات ، ولفهم الطفل أن ٤ + ٥ = ٩

يؤتى بأربعة أقلام ثم يضم إليها خمسة أقلام ويكلف التلميذ عدها فيرى الكل أن المجموع ٩ أقلام ثم يكرر هذا العمل مع أربعة كتب وخمسة كتب وأربع مساطر وخمس مساطر وهكذا حتى يروا أن الأربعة من أي شيء إذا أضيف إليها خمسة من نفس ذلك الشيء كان المجموع تسعة من الشيء ذاته أو أن ٤ + ٥ = ٩

ولعظم شأن هذه القاعدة سار التعليم عليها في رياض الأطفال.

(٤) التدرج من المعلوم إلى المجهول.

إن معلومات الطفل غير تامة، ولذا وجب على المدرس أن يبحث عن مقدار ما يعلمه قبل البدء في إلقاء درسه حتى يكون ذلك أساسًا يبني عليه

درسه، ثم يرتب هذه الحقائق المعلومة ترتيبًا منطقيًا، ويسير منها خطوة خطوة حتى يصل إلى المجهول لأن العقل يدرك المعلومات الجديدة بمساعدة المعلومات القديمة. ففي دروس الهجاء، يجب أن يبتدئ من الكلمات لا الحروف لأن التلميذ يعرف كثيرًا من معاني الكلمات، ولكنه يجهل أسماء الحروف التي يتركب منها وصورها وفي دروس القواعد يجب عند تدريس الكلمات التي تتركب منها الجمل ووظائفها أن يبتدئ من الجمل ويتدرج منها إلى عمل كل من الكلمات التي تتركب منها لأن الطفل يعلم معنى الجملة ولكنه يجهل عمل كل جزء من أجزائها.

(٥) التدرج من الأمثلة إلى القاعدة أو التعريف:

فعند تدريس قاعدة حسابية أو لغوية مثلًا ينبغي أن يبتدأ بدرس أمثلة متعددة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى إستنباط القاعدة من هذه الأمثلة.

(٦) التدرج من البسيط إلى المركب، ومن السهل إلى الصعب.

إن كلمة بسيط أو سهل في هذه القاعدة إضافية فما يعده الرجل سهلًا قد يكون من أصعب الأشياء على الطفل. ولذا وجب أن يقف المدرس قبل البدء في درسه على ما هو سهل أو بسيط عند تلاميذه ليجعله أساس تدريسه، فيجب على مدرس الخط مثلًا أن يبتدئ بتمرين الأطفال على كتابة الحروف مفردة، ثم على كتابة كلمات مركبة من حرفين، ومنها إلى كلمات مركبة من أكثر من حرفين تدريجًا. وفي دروس التهجي ينبغي تعليم الطفل الكلمات السهلة قليلة الحروف أولًا، ثم الإنتقال منها إلى كلمات أصعب منها.

(٧) التدرج من المستفاد بالتجربة إلى المستنبط بالنظر والدليل:

إن تاريخ المدنية البشرية يدل على أن الحرف والصناعات والفنون متقدمة في الوجود على العلوم المؤسسة عليها، فقواعد الطب مثلًا لم تدون إلا بعد عمل ألوف من التجارب العملية. ولذا وجب أن يتبع المدرس هذا الطريق الطبيعي في تدريسه؛ فيبدأ بالبحث فيما يعرفه التلاميذ بطريق المشاهدة ليتوصل به إلى إستنباط النظريات المرتبطة به. ولتوضيح ذلك نمثل بما يأتي:

(١) إن الطفل يعلم أن الحديد يصدأ إذا عرض للهواء ولم يستعمل أو لم ينظف بمشاهدة كثير من الأمثلة الجزئية، فمعلوماته إلى هنا مبنية على المشاهدة، فليبدأ المدرس من هذه المعلومات ثم ينتقل منها إلى البحث في قانون التأكسد وسببه، وبذلك تتحول المعلومات المبنية على المشاهدة معلومات وحقائق نظرية.

(ب) إن الطفل الذي يعيش في الجبال يعلم بالمشاهدة أن الجو فوق الجبل أبرد منه في الوادي، فيجب على مدرس الجغرافيا أن يشرح له عوامل الحرارة والبرودة بالبرهان والدليل بادئًا بمشاهدات الأطفال التي تتحول معلومات نظرية.

وقد ظهر مما تقدم أن القواعد السابقة متشابهة ومرتبطة بعضها ببعض تمام الإرتباط. كما أنها ليست عامة يمكن السير عليها في جميع الدروس والمواد.

نصائح عامة:

ينبغي للمعلم أن يعمل بما يأتي من النصائح فإنها تعينه كثيرًا على تأدية مهنته على الوجه المرضي:

(١) يجب أن يعود الطفل التدقيق في الملاحظة، والإعادة خير طريق يضمن ذلك.

(٢) إن الطفل قد يتعلم كثيرًا بمشاهدة المدرس وهو يرسم على السبورة أو يقوم بعمل تجربة أو نحو ذلك، ولكن من المحقق أنه يتعلم أكثر من ذلك إذا قام هو نفسه بهذا العمل، فأحسن التعليم ما كان مبنيًا على العمل فهو أحسن معلم، ولذلك ينبغي مراعاة ما يأتي:

(ا) تكليف التلميذ العمل متى كان ذلك ممكنًا.

(ب) أن يكون الشرح قليلًا والتمرين كثيرًا.

(جـ) عدم الإكتفاء بذكر الغلطات ومجرد التنبيه عليها فلا بد من تكليف التلاميذ تصحيحها وكشف العلل والأسباب بأنفسهم ليتعودوا الإستقلال في العمل والفكر.

(٣) ينبغي ألا يفعل المدرس بالنيابة عن التلميذ ما يمكنه أن يقوم به من الأعمال مع قليل من الجهد والتعب لأن نجاح التلميذ في التعليم متوقف على مقدار سعيه وتعبه، فالتعليم كالهضم لا يقوم به إلا الطفل نفسه.

(٤) على المعلم أن يرتب أجزاء درسه ترتيبًا منطقيًا بحيث تكون كل نقطة

مسببة عما قبلها كما أنها تمهد الطريق لما يتلوها، وهذا يستدعي أن يقسم الدرس مسائل صغيرة وأن يدرس كل مسألة على حدتها حتى لا يكلف التلاميذ التفكير في أكثر من صعوبة واحدة في وقت واحد، ومن ثم وجب على المدرس إعداد درسه إعدادًا متقنًا.

(٥) لا يمكن المدرس أن يجتذب إنتباه التلاميذ إليه في الدرس إلا إذا كان الدرس شائقًا محبوبًا، فأحسن الدروس ما حرك شوق التلاميذ وبعث السرور في نفوسهم، ولجعل الدرس شائقًا ينبغي؛

(ا) أن يكون كل ما يقوله المعلم للطفل مما يستحق السماع.

(ب) أن يكون الدرس واضحًا جليًا.

(ج) أن يستعمل كل ما يمكن إستعماله من وسائل الإيضاح.

(ء) أن يظهر على المعلم في أثناء التدريس أنه محب لعمله شديد الميل إليه، فما دام المعلم مسرورًا من عمله فإن التلميذ يسر منه أيضًا.

(٦) يجب أن تكون معهودات التلاميذ أساسًا للمعلومات الجديدة التي يراد إيصالها لهم، وأن تعقد الموازنة بين القديم والجديد.

(٧) من الحكمة أن يرمي المعلم نحو الكمال، ولكنه من الجهل توقع الحصول عليه.

(٨) الحواس منافذ العقل ،فلتكن دروس صغار التلاميذ مقصورة على دراسة المحسوسات وملاحظتها.

(٩) إن القواعد والتعاريف لا قيمة لها ،إلا إذا إستنبطها الطفل بنفسه ثم طبق عليها.

(١٠) الكلمات قشور لبها المعاني، فتوجه العناية نحو اللب لا القشور.

(١١) ينبغي عدم الإقتصار على إستعمال قوة عقلية واحدة طول الدرس وإلا تعب فكر التلميذ، فلا بد من التغيير في نوع المسائل والتداريب.